

الفصل الثاني

الأطفال كمشاهدين للتلفزيون

- قوة تأثير التلفزيون على الأطفال .
- التلفزيون والطبيعة الانفعالية والمعرفية للأطفال .
- الاختلاف في المشاهدة بين الطفل والشخص الراشد .
- مراحل النمو المعرفي والتلفزيون .
- اختلاف المشاهدين في فهم البرامج :

نموذج التأثير التفاعلي للتلفزيون

- أهمية التلفزيون كوسيلة إعلامية للأطفال .
- انتباه الأطفال أثناء المشاهدة .
- من هم ؟ أين ؟ متى ؟ ماذا ؟ لماذا ؟
- البيضة أم الفرخة ؟ ومشكلات أخرى منهجية .

الفصل الثاني

الأطفال كمشاهدين للتلفزيون

قوة تأثير التلفزيون علي الأطفال :

ظهرت في التسعينات أحداث عنف وإجرام في بعض البلدان الأوربية والأمريكية بين الأطفال ففي بريطانيا مثلاً قام طفلان في العاشرة من العمر باحتجاز طفل معاق في السابعة من العمر وتعذيبه حتى الموت وذلك أثناء عرض احد مسلسلات الأطفال الشهير ... مرددين اغنية كان يرددها الطفل المفترض انه شرير في المسلسل !

كما ارتكب شابان أمريكيان جريمة قتل لـ ١٥ تلميذ في مدرسة "ليتل تاون" الثانوية وكان كلا منهما يحمل مدفعاً رشاشاً ، واحدهما يرتدى معطفاً طويلاً من الجلد الأسود تشبهاً بما حدث في لعبة الفيديو " مفكرة الباسكت بول ، حيث يظهر بطل الفيلم الذي صور في عام ١٩٩٥ بهذا المعطف ثم يتجه إلي فصل مدرسته الثانوية ، ويبدأ في إطلاق النار علي التلاميذ واحداً بعد الآخر في تصوير بطيء علي موسيقى الروك" ، وكان المجرم الآخر يرتدى فانله تحمل صورة شخصية كارتونية عرفت باسم "كني" الذي يقوم في كل حلقة من حلقات الكارتون بالعديد من عمليات القتل .

وهناك أمثلة أخرى صارخة وعديدة للتعلم بالقوة وحب المحاكاة مستمدة من الوسيلة الأكثر انتشاراً في العالم وهي التلفزيون .

ولقد كان الاعتقاد السائد في بداية ظهور هذا الجهاز انه ما هو إلا وسيلة من وسائل التسلية التي ليست لها آثار نفسية بالمرّة علي الأطفال أو أن آثاره تافهة ، إلا

أن الكم الهائل من البحوث التي أجريت علي مدى الأربعين عاما الماضية في مجال علم النفس والإعلام يشير نتائجه بأن التلفزيون له بالفعل بعض الآثار النفسية علي الأطفال ، ومع أن هذه الآثار النفسية عادة ما تنشأ في بادئ الأمر طفيفة جدا إلا انها تتكون بطريقة تراكمية ، وتعتبر آثارا إضافية "additional أكثر من كونها أساسية primary بمعنى انها تضاف إلي الآثار النفسية الأخرى الناتجة عن العوامل البيولوجية والبيئية ، ويمكن أن توضع في المرتبة الثالثة مباشرة من حيث الأهمية بعد تأثير الأسرة والوسط الاجتماعي ، فمثلا سهولة حصول التلاميذ علي الأسلحة النارية وانتشارها بينهم وتدعيم السلوك العدواني في المجتمع الأمريكي وطبيعة الثقافة الأمريكية يمكن أن تعتبر عوامل بيئية اسهمت بالإضافة إلي مشاهد العنف التلفزيوني في وقوع هذه الجرائم (كيوبي Kubey ١٩٩٦ ، هستن وزملاؤها^(١) Huston et al ١٩٩٢) .

وفي السنوات الأخيرة توصلت مجموعات من الخبراء المتخصصين إلي الكشف عن وجود آثار نفسية ملحوظة علي بعض الأشخاص بسبب مشاهدته برامج تلفزيونية معينة ، ففي الولايات المتحدة مثلا - انصبت أعمال "اللجنة الاستشارية العلمية للهيئة الصحية العامة حول دراسة تأثير التلفزيون علي السلوك الاجتماعي، حيث اهتمت بمشاهد العنف التلفزيوني وظهور السلوك العدواني، كما اهتم ايضا بتأثير هذه المشاهد" المعهد الأمريكي القومي للصحة العقلية وايضا الجمعية الأمريكية في علم النفس والتي قد تبنت اتجاها عاما في عام (١٩٨٥) يشير إلي أن مشاهد العنف التلفزيوني مسئولة بدرجة كبيرة عن السلوك العدواني، كما تركزت دراسة هستن وزملاؤها (١٩٩٢) حول مدى واسع من الآثار النفسية الإيجابية والسلبية للإعلانات والبرامج التلفزيونية علي النساء والأطفال والكهول والأقليات، وقد ظهرت أيضا مثل هذه الدراسات في كندا وبعض البلدان الأوربية .

(١) الياهستن :استاذة دكتورة مديرة قسم علم نفس النمو في الجمعية الأمريكية لعلم النفس، كما تلقت جائزة " إرفن ينجرج" Irvin Youngberg للإنجاز العلمي المتميز في العلوم التطبيقية ولها العديد من المؤلفات والبحوث في مجالي علم النفس والإعلام .

التلفزيون والطبيعة الانفعالية والمعرفية للأطفال

إن كثيرا من الباحثين الذين يدرسون النمو الإنساني يعتقدون أن الأطفال * مشاهدون لهم طبيعة خاصة * special audience، فالطفل بطبيعته شغوف بالتلفزيون ، وقد تبين من الدراسات أن الآباء يضعون أطفالهم الصغار (في مرحلة المهد) وهم في حالات البكاء والهيّاج أمام التلفزيون كي يهدأوا، وتشير الاحصائيات إلى أن الطفل العادي في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا يشاهد التلفزيون من ساعتين إلى ثلاث ساعات يوميا في المتوسط ، ولأسباب عدة يعتبر الأطفال صغار السن أكثر عرضه لآثار التلفزيون الانفعالية السلبية كالخزن والخوف والغضب ، حيث أن قدراتهم المعرفية محدودة ويسهل أثارته انفعاليا، كما أنهم متحمسون ومتفحون لبعض البرامج القصصية المليئة بالمناسبة لأعمارهم، ويأخذ هذا التحمس عادة شكلين: فقد يصبح الأطفال متوترين وأحيانا لا يستطيعون التحكم في سلوكهم، فيبدون مثلاً وكأنهم يعايشون بطل القصة فينصحونه ويحثونه ويحذرونه ويقاسمونه الأمه أو ينتصرون ويثابون معه ، ويعبرون عن ذلك أحيانا بأصوات عالية ، أما الشكل الآخر فقد يبدو فيه الطفل وكأنه منور مغناطيسيا mesmerized من شدة انتباهه إلى القصة التلفزيونية التي تثيره .

ويشير "دور" Dorr (١٩٨٦) إلى أن هناك عددا من العوامل التي يمكن أن تحد من قدرة الأطفال على فهم الأحداث سواء تلك التي تحدث في عالم الواقع أو خلال وسائل الإعلام ، ومن هذه العوامل مثلا : أنه تنقصه خلفية المعلومات الضرورية اللازمة لهذا الفهم ، فمما لا شك فيه أن هذه المعلومات تقل عما هي عليه عند المراهق أو الشاب الراشد ، وهناك أيضا عامل آخر هو أنه لم يكتمل نموهم المعرفي بعد، فالطفل حتى الخامسة مثلا غير قادر على الاستدلال المنطقي ولا الإلمام بكل الجوانب الأساسية للمواقف التي تجابهه وغير ذلك من الخصائص التي تحدث عنها العالم الفرنسي "بياجيه" Piaget (١٩٦٩) وغيره والتي تصف الخصائص المعرفية عند الأطفال، وهذه العوامل تؤثر عليهم في مشاهدتهم للبرامج التلفزيونية كالآتي :

أ - قد يفشلون أو يسيئون فهم محتوى البرامج بسبب نقص الأساس المعرفي الضروري اللازم لذلك الفهم ، ويزداد أيضا هذا الفشل كلما كانت ثقافة الطفل غريبة عن ثقافة محتوى البرامج التلفزيونية المعروضة، كما هو الحال مثلا عند مشاهدته الطفل العربي للبرامج الأمريكية أو الأوروبية .

ب - قد يتقبلون معلومات محتوى برنامج تلفزيوني وكأنها حقيقة لا تقبل الشك في حين أن هذا البرنامج قد يكون كوميديا أو خياليا ، وذلك لأنه بالرغم من أن تفكير الطفل يغلب عليه العيانية والارتباط بالمحسوسات إلا أنه لا يستطيع التمييز بين الواقع والخيال، وكلما صغر سن الطفل وقلت خبرته صعب عليه الفصل بين الواقع الحقيقي الذي يعيش فيه والقصص أو المواقف الخيالية التي تقدمها بعض البرامج التلفزيونية.

ج - قد لا تمكن طبيعة النمو المعرفي للأطفال الذين تقل أعمارهم عن أربع سنوات من إدراك معني كثير من المفاهيم المألوفة مثل: القصد أو الزمن، فالأطفال الصغار كثيرا ما يخفون في إدراك القصد من تصرفات الآخرين، لذا فقد يتفهم الطفل محتوى البرنامج التلفزيوني إذا كان مناسباً لسنه دون أن يعي أو يدرك جيدا القصد من بثه أو إذاعته، كما أن فكرة الزمن غير مفهومه جيدا لدى الطفل الصغير، فإذا طلب مثلا من أبيه شيئا ثم قال له الأب أنه سيحضره له باكرا شعر بخيبة أمل واعتقد أنه لن يحصل علي ما يريد ، لذا فإن الأطفال الصغار لا يستطيعون فهم بعض الأساليب المتبعة في الأفلام التلفزيونية مثل قطع التسلسل التاريخي أو عرض مشاهد كانت قد وقعت في زمن سابق وغير ذلك .

الاختلاف بين الطفل والشخص الراشد :

في مشهد من فيلم ايطالي ظهر عام (١٩٩٠) اسمه " أماركورد" Amarcord عن أحوال الأسرة الإيطالية في الثلاثينات ، يحتوى علي منظر ينهمر فيه المطر بغزارة وتسقط فيه كرات الثلج - نرى طفلا عمره ٩ أعوام وإخاه المراهق يستمتعان بالنظر إلي سقوط كرات الثلج ، ويبدو عليهما الدهشة والسرور والمرح،

ثم نشاهد أحد الولدين يفتح النافذة محاولاً الإمساك بقطع الثلج بيده وفمه، ويرى والدهما نفس المنظر فيشمنز منه ، لأن الثلج المتساقط يعني بالنسبة له أنه لن يستطيع ممارسة عمله في ذلك اليوم كعامل بناء ، وأنه لن يتمكن حتى من استخدام وسائل المواصلات العامة لقضاء مصالح الأسرة ، وأغلق النافذة وقد بدت عليه علامات الاستياء والغضب ، وهكذا يَصور الفيلم كيف يمكن أن تختلف استجابة أو رد فعل الراشدين عن الأطفال لشيء واحد تبعاً لاختلاف إدراكهم لمعناه وتبعاً لأهميته لهم .

وبالرغم من أن الأطفال في مراحل الطفولة المبكرة لا تزال خبراتهم محدودة ولا يزالون في مراحل مبكرة نسبياً من النمو المعرفي والتطبيع الاجتماعي - إلا أنهم أحياناً لهم أحكام علي الآخرين لم تتلون بعد بالمؤثرات الاجتماعية السلبية، وكما يقول بعض الفنانين والكتاب في هذا الصدد: أن الأطفال قد يسمعون ويرون أحياناً ما لا يراه الكبار ، ففي قصة " هانز اندرسون Hans Anderson عن ملابس الأمبراطور الجديدة يقول هذا الكاتب :

أمر الإمبراطور بصنع رداء جديد له إلي اثنين من الخياطين في مملكته ادعيا بأنهما يستخدمان لصنع الملابس أقمشة مسحورة ذات ألوان جميلة زاهية براقّة، ويستطيع كل شخص في الأمبراطورية أن يراها جيداً طالما كان ذكياً ويؤدي عمله علي أكمل وجه ، أما الشخص الغبي غير الصالح لعمله فلن يستطيع أن يراها أبداً، وقد أعجبت حاشية الإمبراطور بهذا الرداء الجديد ، ولما ارتدى الإمبراطور رداءه الجديد وسار في موكبه في الطريق ، اعجب به كل من رآه، إلا أن هناك طفلاً صغيراً كان يشاهد الموكب صاح قائلاً : أن الإمبراطور لا يلبس شيئاً بالمرّة ؟، وهكذا فقد تظاهر الأشخاص الراشدون بأنهم يرون الرداء الجديد وهو ليس موجوداً بالمرّة خوفاً من اعتبارهم إما أغبياء أو لا يصلحون لأعمالهم، أما الطفل فقد قرر الحقيقة كما هي دون القيود والتقاليد المفروضة علي الكبار، إن مثل هذا الطفل إن وجد فلابد وأن يكون عمره أقل من خمس سنوات أي أقل من السن التي يسمح للأطفال فيها بالدخول إلي المدرسه الابتدائية ، لأن المدرسه كمؤسسة اجتماعية تطبع الطفل اجتماعياً حيث يبدأ في التشبه بالأشخاص البالغين في بيئته في حكمه علي الأمور وإدراكه لها عن طريق عمليات التعلم بالقوة .

والإدراك الاجتماعي كما يقرر علماء النفس المعاصرين - هو نشاط معرفي معقد يتضمن عمليات كالانتباه والفهم والتذكر والاستدلال ، فالشخص كثيرا ما يتأثر في إدراكه للآخرين أو للأحداث الاجتماعية بخبراته السابقة وحالته الوجدانية والدافعية بالإضافة إلى العمليات المعرفية اللازمة لهذا الإدراك ، حيث تحدث عمليات تلقائية سريعة لمعالجة المعلومات واسترجاعها information processing and retrieval كي يتم الإدراك الاجتماعي، وكثيرا ما يتضمن هذا الإدراك عمليتي انتقاء وتفسير - أي انتقاء عناصر معينة من الموقف الاجتماعي ينتبه إليها الشخص دون غيرها- وتفسير لمحتوى هذا الموقف (فور جاس Forgas ١٩٩٦).

ولقد اظهر الباحثون الذين يدرسون استخدامات التلفزيون وفوائده أن كثيرا من الأطفال والراشدين يستخدمونه لأغراض متعددة هي التسلية والحصول على المعلومات ولشغل أوقات الفراغ ، وهم ليسوا مجرد مستقبلين فقط لما يشاهدونه بل ينشطون تلقائيا لتفسير ما يرونه من أحداث ومواقف ، كما تبين كذلك أن الأطفال الصغار يختارون مشاهدة البرامج التلفزيونية السهلة المناسبة لقدراتهم المعرفية كي يستطيعون فهمها ، وتساهم العوامل الشخصية في تحديد نوع وكمية البرامج التي يشاهدها الطفل ، ولكن ما هي هذه العوامل علي وجه التحديد أو كيف يختلف الطفل في إمكانياته الخاصة بمشاهدة البرامج التلفزيونية عنا أو عن أي شخص ما راشد ؟ هل مثلا يمكن ان يفهم الطفل ذو الأربعة أعوام كل ما يشاهده من برامج تلفزيونية ؟

إن الشخص الراشد يمكنه مثلا أن يفهم ما تشير إليه كلمات اللغة من أشياء ومعاني أما الطفل فهو لا يفهمها جيدا ويظل^(١) طوال مرحلة الطفولة ينمي من

(١) فالطفل مثلا حتى ست سبع سنوات تفكيره عياني فهو لا يعرف إلا معاني الكلمات التي تشير إلى أشياء محسوسة مثل : باب، لين ، كراسة، أما الكلمات المجردة مثل : خبث، حنان، إخوة فهو في الغالب لا يستطيع فهمها جيدا، لأنها تتطلب خبرات كافية للطفل في مواقف معينة نهى له امكانية التعميم، كما ان الطفل في سن الرابعة فما دون قد يخطي في فسهه معاني بعض الكلمات : فقد يستخدم مثلا كلمة قطه ليشير بها إلى كل الحيوانات وكلمة يدخل ليعني بها الدخول أو الخروج علي السواء.

قدرته علي هذا الفهم ، كما ان الشخص البالغ لديه كمية كبيرة من المعلومات المخزونة في ذاكرته يستفيد منها في تفكيره أما الطفل فالمعلومات المخزونة في ذاكرته ضئيلة ولا تمكنه من التفكير الناضج ، لأن الإنسان يستخدم محتويات الذاكرة من خبرات ومعلومات في تفكيره وحكمه علي الأمور .

وذاكره الطفل ليست فقط ضحلة هزيلة meager نسبيا وإنما هي أيضا مشتتة spotty - والشخص الراشد بسبب قدرته علي التفكير المتكامل يستطيع فهم العلاقات بين الأشياء وهو ما لا يستطيعه الطفل الصغير الذي قد يكون أحيانا عاجزا عن إدراك العلاقة القائمة بين ظاهرتين أو أكثر أي التعليل أو حتى معني أو استخدام كلمة " لأن ، ومن الأمثلة علي ذلك انه إذا سئل مثلا : لماذا تطفو المركب الكبيرة ؟ فقد يكون رده لأنها كبيرة ، والصغيرة ؟ لأنها صغيرة ، أو إذا سئل لماذا وقع احمد من علي الدراجة ؟ فقد يكون رده : لأنه كان يركبها أو لأن ذراعه إنكسرت .

ومن الفروق المميزة أيضا بين الأشخاص البالغين والأطفال في القدرة المعرفية أنه لدى البالغين القدرة علي إدراك المعنى الكلي للأحداث أو القصص ، فالشخص الراشد يرى مثلا ان اجزاء القصة المعروضة في البرنامج التليفزيوني هي جزء من الكل وتساهم في النتيجة النهائية ، وأن القصة لها بداية ووسط ونهاية ، وقد لا يفهم الطفل الصغير ذو الثلاثة أو الأربعة أعوام ذلك ، حيث يرى ان أي تغير في مشاهد القصة هو حدث جديد ، فكل مشهد يعرض أمامه هو موقف قائم بذاته ولا يرتبط بغيره من المشاهد الأخرى .

وكل جزء من أجزاء القصة له أهمية عند هذا الطفل مماثلة للأجزاء الأخرى ، وربما يعتقد انه جزء ما من القصة يفوق في أهميته خاتمة القصة والمتضمنة الحل النهائي لها ، لأنه غير قادر علي التفكير المنطقي ، فقد يعتقد طفل صغير مثلا في قصة ذات الرداء الأحمر ان واقعة أكل الذئب للجدد هو حدث ذا أهمية أكبر من النهاية السعيدة للقصة والمتمثلة في قتل الذئب وإخراج الطفلة ذات الرداء الأحمر وجدها من بطنه بواسطة الحطاب .



مراحل النمو المعرفي والتلفزيون :

يعكس النشاط العقلي للطفل عند مشاهدته للتلفزيون مراحل النمو المعرفي كما تصورها علماء النفس في مجال النمو ، ففي دراسة عرضت قصة خيالية علي شاشة التلفزيون علي ثلاث مجموعات من الأطفال : احدهما عمر كل طفل فيها ٤ سنوات والثانية ٧ سنوات والثالثة ١٠ سنوات ، ثم اعطي كل طفل بعد ذلك ٣ صور فوتوغرافية كانت ضمن مشاهد القصة وطلب منهم وضعها في الترتيب المناسب في السياق الذي ظهرت فيه علي الشاشة ، وكانت النتيجة ان خمس

الأطفال فقط من المجموعة التي عمر كل فرد فيها ٤ سنوات هم الذين استطاعوا الترتيب الصحيح لهذه الصور، أما أطفال المجموعتين الثانية والثالثة وهم الذين كانت أعمارهم ١٠،٧ سنوات فقد وضعوا الصور كلها في الترتيب الصحيح الذي ظهرت به في القصة، ولما سئلوا بعد ذلك عن دوافع ومشاعر شخصيات القصة كانت اجابات الأطفال الذين عمرهم ٤ أعوام غامضة ولم يتمكنوا من تفسير ما شاهدوه كما كانوا يتذكرون وقائع القصة بصعوبة (كيوبي Kubey ١٩٩٦).

وفي دراسة أخرى عرض فيلم كوميدى علي ١٦٨ تلميذ من مستوى اقتصادي اجتماعي متوسط من سكان كاليفورنيا تراوحت أعمارهم من ٤ إلى ١٨ سنة وذلك بهدف التعرف علي نوع المعلومات التي يهتم بها الأطفال في مراحل السن المختلفة في الأفلام التلفزيونية التي يشاهدونها للتسلية ، وقد اتضح من نتائجها ان التلاميذ الأكبر سنا كانوا أكثر من الأصغر سنا في التركيز علي المعلومات الضرورية في الفيلم سواء في المشاهدة أو في تذكر احداث الفيلم ، كما كان المراهقون أفضل من الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة في تجاهل المعلومات غير الضرورية في قصة الفيلم (كيوبي ١٩٨٤) .

كما اتضح من عدد من الدراسات أن مشاهدة الأطفال صغار السن (من سن ٤،٥ سنوات) للبرامج التلفزيونية لها خصائص معينة بالإضافة إلي ما سبق يمكن إجمالها في الآتي :

١- يميل الأطفال الصغار إلي أن تكون المشاهد التلفزيونية التي يسرون لها متكررة ، ونلاحظ هذا في فيلم " توم وجيري " ومناظرة دائما متكررة وتعجبهم ، حيث توم هو القط الذي يجري دائما وراء "جيري" الفأر ، كما أن الطفل يميل إلي التكرار أيضا في وصفه للمشاهد التي تعجبه مثل قول طفل في الخامسة يصف هروب المجرم من قبضة البوليس : والعسكري يحلأ عليه .. والعسكري الثاني يصفر بالصفافير .. والراجل يقول : يا هو يا هو .. أخ .. أخ ..

٢- بالرغم من أن الأطفال الصغار يحبون الخيال إلا انهم قد يندهشون أو يتعجبون إذا ما رأوا مشاهد غير مألوفة أو تختلف عما اعتادوا أن يروه في

البيئة من حولهم عن طبيعة الأشياء أو قانون السبب والنتيجة، ومن المنظر التي قد تسبب حيره الطفل مثلا رؤيته لحيوان ضخم من الكرتون يضرب آخر علي رأسه بقوة (كما يبدو من سرعه الضربة) دون أن يرى أثرا لهذه الضربة مثل عدم سماع صوتها المزعج أو اهتزاز الحيوان الآخر .

ومن المؤلف كذلك أن يرى الطفل رجلا يكلم حصانا حيا، أما أن يوى حصانا حيا (ليس كرتونا) يكلم حصانا حيا آخر فهذا قد يكون مسييا لدهشته لأنه يتناقض مع ما اعتاد ان يراه في العالم الطبيعي حوله .

٣- يتذكر هؤلاء الأطفال احداثا قليلة فقط مما يشاهدونه من القصص التلفزيونية .

٤- يجدون صعوبة في فهم اللقطات أو المناظر التلفزيونية التي تستغرق فترات زمنية طويلة long shots .

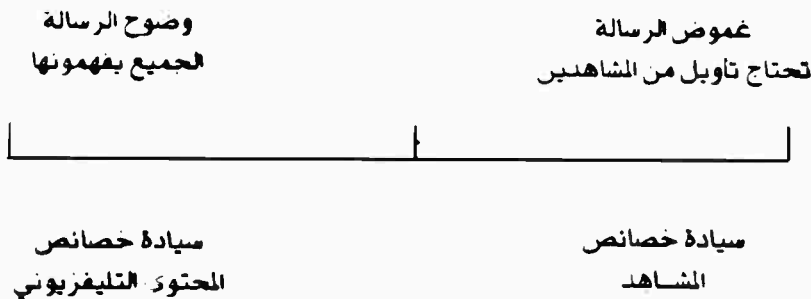
٥- من المعروف أن تفكير الأطفال في هذه السن عياني أي مرتبط بالمحسوسات ، وإدراك الأطفال للتلفزيون لا يختلف عن إدراكهم للبيئة الطبيعية والاجتماعية من حولهم ، لذلك فهم يركزون علي الجوانب السطحية من المشاهد التلفزيونية التي يرونها ، فانتباههم مثلا إلي معني الحوار المسرحي أو المناقشة dialogue أقل مما هو موجه إلي شكل الممثلين وملابسهم وحركاتهم وأصواتهم ، كما أنهم أقل فهما لنوايا شخصيات الأفلام التلفزيونية من الأطفال الأكبر سنا .

وعموما تؤيد الدراسات التي أجريت علي الأطفال والتلفزيون نظرية العالم الفرنسي "بياجية (١٩٦٩) عن النمو المعرفي للأطفال ، فهؤلاء الأطفال لا يزالون في مرحلة ما قبل العمليات preoperation stage ، ومع نموهم تزداد تدريجيا قدراتهم المعرفية ، فيزداد مثلا تذكرهم للأحداث ، وفهمهم لمعني الحوار بين شخصيات الأفلام ، والقصد من تصرفات هذه الشخصيات وغير ذلك (زيلمان Zillmann ١٩٩٤) .

اختلاف المشاهدين في فهم البرامج : نموذج التأثير التفاعلي للتلفزيون :

an interactive model of media influence

إذا تساوى المشاهدون في درجات نموهم المعرفي فهناك أيضا اختلافات يمكن أن تظهر بسبب عوامل أخرى، ومن هذه العوامل : الغموض : أي غموض البرنامج التلفزيوني أو الموقف الاجتماعي الذي يتضمنه هذا البرنامج ، حيث تشير الدراسات الحديثة إلى أن الناس يتأثرون بحالاتهم الدافعية والوجدانية وخبراتهم السابقة عند تفسيرهم للأشياء الغامضة، لذلك فكل شخص قد يفسرها تفسيراً مختلفاً عن الآخر ، فإذا جلس شخصان مثلاً يشاهدان برنامجاً تلفزيونياً غامضاً أو يتضمن مواقف اجتماعية غير مفهومة فكل منهما قد يخرج منه بمعنى مختلف عن الآخر ، وعلي العكس من ذلك : كلما كان البرنامج واضحاً سهلاً لا يحتاج إلى تفسير كان له معنى واحد عند جميع المشاهدين ، فالإدراك في النهاية يحدث نتيجة تفاعل بين التنبهات المكونة للرسالة التي تستقبل من البرنامج التلفزيوني وخصائص الشخص الذي يتلقى هذه الرسالة أي المشاهد ، ويمكن أن نتبين نتيجة هذا التفاعل على هيئة خط مستقيم continuum له قطبان ، أحدهما يمثل سيادة خصائص المشاهد، والآخر يمثل سيادة خصائص المحتوى ، وفيما يتعلق بالقطب الأول والخاص بخصائص المشاهد فيقصد به أن الرسالة المستقبلية يفهمها المشاهد تبعاً لصفاته



شكل رقم (٣) درجة صعوبة

الرسالة المستقبلية

وخبراته السابقة وخلفيته الثقافية ، وفي مثل هذه الحالات التي تصود فيها خصائص المشاهد ليس من المحتمل أن يحدث نفس الأثر لدى المشاهدين الذين يتلقون رسالة واحدة ، أي أن كل منهم سوف يفسر ما يشاهده تفسيراً مختلفاً عن الآخر ، أما القطب الآخر فهو الذي يسود فيه المحتوى content predominate ، حيث يفهم المشاهدون الرسالة التليفزيونية أو محتوى البرنامج بمعنى واحد ، وكلما كان البرنامج التليفزيوني غامضاً صعب التأويل بالنسبة للمشاهدين تم تفسيره وفقاً لخصائصهم ، وبالعكس كلما كان واضحاً سهل التأويل (أو غير محتاج إلى تأويل) أدى ذلك إلى سيادته بالنسبة لهم أي فهم الجميع له بمعنى واحد (هستن وزملاؤها Huston et al ١٩٩٢) .

أهمية التليفزيون كوسيلة إعلامية للأطفال

يعتبر التليفزيون من أكثر وسائل الإعلام انتشاراً بين الأطفال في سنهم المبكرة ، فلا شك أن هناك نسبة لا بأس بها من الأطفال يشاهدونه بصفة منتظمة ، لذلك فهو مصدر رئيسي من المصادر التي تعرض على الأطفال صورة المجتمع ، وقد يبدأ أول اتصال بين الطفل والتليفزيون في الثانية من العمر أو دون ذلك - عندما يرى أو ينصت مصادفة إلى برنامج يشاهده شخص آخر من الأسرة ، وفي سن الثالثة تقريباً قد يبدأ في الارتباط بجهاز التليفزيون ويشاهده بانتظام بعد أن كانت رؤيته له عرضية في سن الثانية ، وأطفال سن الثالثة في بيئاتنا العربية كثيراً ما يتواجدون بالمنزل ، وبالتالي فإن وجود جهاز التليفزيون في المنزل يعتبر أحد العناصر الرئيسية لتسليةهم والترفيه عنهم ، وهذا الجهاز بالنسبة للطفل يعد بمثابة باب سحري ينقله إلى عالم الخيال والإثارة ، وكثيراً ما يكون دعوة كلها إغراء للاسترخاء وطرح مشاكل الحياة ومتاعبها حيث يستغرق الإنسان في متعة . جميلة مع شخصيات القصص التي تجري حوادثها على شاشته .

ولعل سر اهتمام الأطفال بالتليفزيون وإنجذابهم نحوه يعود إلى جملة من الخصائص المميزة له عن غيره من وسائل الاتصال الجماهيرية ، فقد أصبح في مقدمة هذه الوسائل تأثيراً في حياة الجماهير لما يتمتع به من مزايا تقلل الصوت

والصورة واللون في أن واحد ، كما إنه يمكن أن يقدم المادة الإعلامية في نفس زمن حدوثها أو بعد فترة مناسبة ، إضافة إلى قدرته على تكبير الأشياء الصغيرة وتحريك الأشياء الثابتة ، ومن خصائصه أنه حاليا يدخل كل بيت تقريبا. وبذلك أصبحت برامج في متناول أيدي أفراد الأسرة صغارهم وكبارهم علي السواء حتى صار من الصعب أحيانا منع الأطفال من مشاهدة ما يجرى علي شاشته ، إذ أصبح جزءا غير منفصل من اهتماماتهم اليومية منذ اللحظة التي يبدأون فيها إدراك العالم من حولهم .

وفي مجال التعليم أصبح وسيلة ذات فاعلية لأنه يسمح لمدرس واحد بتوجيه رسالته التعليمية لآلاف وأحيانا لملايين المشاهدين ، ويبدو ان قيمته وإمكاناته التعليمية والثقافية والتربوية تأتي أساسا من أن الإنسان يحصل علي ٩٨% من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر ، ومن هذه النسبة يحصل المرء علي ٩٠% تقريبا عن طريق الإبصار وحده. بينما ال ٨% عن طريق السمع .

انتباه الأطفال أثناء المشاهدة :

اتضح من الدراسات العملية التي أجريت بمعامل الجامعات تحبب ظروف ضبط تجريبي صارم أن الأطفال الصغار ينظرون نحو جهاز التلفزيون عندما يسمعون أصواتا معينة هي: أصوات النساء أو الأطفال أو الذمي (وليس أصوات الرجال) ، وأيضا كلما كان محتوى البرنامج مسليا ومفهوما لديهم ، وهم عندما يبدأون في المشاهدة يستمرون فيها إلى أن يصبح محتوى البرنامج غير مفهوم أو غير مسلي ، وكلما طالت المدة التي يلتفت فيها الأطفال إلى جهاز التلفزيون قل احتمال اعراضهم عن مشاهدته ما لم يكن هناك داعي قوي يجبرهم علي ذلك .

وكلما طالت المدة التي يقضيها الطفل في الحجرة وجهاز التلفزيون يعمل ولكنه منشغل عنه بشئ ما آخر ، كان احتمال التفت الطفل إلى التلفزيون ضئيلا حتى مع زوال ذلك الشئ ومهما كان البرنامج التلفزيوني مشوقا له ، ويرجع "أندرسون" وزملاؤه Anderson et al (١٩٨٦) هذه الظاهرة إلى طبيعة الانتباه أو متطلباته عند الطفل ويطلق عليها أسم : السيطرة الإنتباهية attentional inertia .

والطفل يحاول في المراحل الأولى من حياته الكشف عما هو موجود في بيئته، وأن يجد معنى للأشياء والوقائع من حوله ، وهو يقضى وقتاً طويلاً في ذلك، ويعتبر التلفزيون وما يحتويه من برامج ضمن هذه الأشياء التي يحاول الطفل أن يتوصل إلي معنى لها ، ونتيجة لشغف الطفل بمشاهدة البرامج فقد يتعلم منها السلوك المفيد والسلوك الضار ، فقد يتعلم من البرامج المصممة له السلوك النافع إذا ما كانت معه إعداداً حسناً ، كذلك قد يتعلم من البرامج الأخرى السلوك غير الخلقى أو المضاد للمجتمع (هستن ورايت Huston & Wright 1996) .

ومن الأمور التي كانت موضع اهتمام الباحثين هي مدى شدة انتباه الطفل أثناء مشاهدته للتلفزيون ، أو هل يشاهد الطفل التلفزيون بإيجابية - أي وهو مهتم بما يشاهده mindfulness أم انه ينظر إليه فقط دون أن ينتبه أنتباهاً كافياً لما يشاهده. mindlessness ، والواقع أن الإجابة عن هذا التساؤل تقتضي أيضاً الإجابة عن عدد من التساؤلات الأخرى هي :

خصائص المشاهدة : من هم ؟ أين ؟ متى ؟ ماذا ؟ لماذا ؟ :

ويقصد "بمن هم " خصائص المشاهدين من حيث مراحل النمو التي يمرون بها وحالتهم الصحية البدنية والانفعالية وغير ذلك ، هذه الصفات الشخصية ومثالها قد يكون أيضاً لها آثارها على سلبية الطفل وإيجابيته كمشاهد وبخاصة في الثقافات الفرعية subcultures ، ف فيما يتعلق بمستوى النمو مثلاً - قد يبذل الأطفال الأصغر سناً جهداً ونشاطاً عقلياً أكبر في مشاهدة التلفزيون عن غيرهم من الأطفال الأكبر سناً - لأن هؤلاء الأصغر سناً يجدون صعوبة أكبر في فهم محتوى البرامج.

ولا يقتصر تساؤل من هم فقط على الصفات الشخصية بل يتضمن أيضاً المنظور الثقافي ، لأن العوامل الثقافية تساهم في تحديد شخصية المشاهد كما أنها تدفع الفرد إلى الاهتمام بمشاهدة برامج تلفزيونية معينة دون غيرها .

"أين" ويقصد بها المكان الذي نشاهد منه التلفزيون ، فمشاهدة التلفزيون مثلاً في المعمل بسبب إجراء دراسة تجريبية تختلف عن مشاهدته في موقف طبيعي في المنزل ، وذلك لأن الأطفال الذين تجري عليهم الدراسات في المعمل يتوقعون أن

يسألوا فيما شاهدوه ، لذا فهم عادة ما يكونون أكثر اهتماما بالانتباه إلى التلفزيون ومحاولة استيعاب ما يعرض عليهم عنه في حالة مشاهدتهم له بالمنزل ، لهذا فإن النظر إلى شاشة التلفزيون لا يعنى أن الشخص يوجه كل انتباهه إليه ، كما ان مشاهدته والشخص منشغل عنه بعمل ما آخر يختلف عن مشاهدته وهو لا يعمل شئ بالمرّة ، فمشاهدته التلفزيون في المطبخ أثناء طهي الطعام أو في الحمام وقت الاستحمام - كما يحدث في بعض البلدان الأمريكية والأوربية - ربما تختلف عن مشاهدته في حجرة النوم أو الاستقبال أو تناول الطعام. كما أن مشاهدته ايضا في المطار قد تختلف عنه في حالة مشاهدته في الفندق أو النادي وهكذا .

"متى" وتعنى الوقت من اليوم أو الأسبوع أو السنة الذي يشاهد فيه التلفزيون . ويرتبط هذا التساؤل بـ "ماذا" ، فالبرغد من أن أندرسون (١٩٨٤) قد أوضح الطبيعة النشطة للأطفال الصغار في مشاهدتهم للتلفزيون إلا انه قد لاحظ ايضا في دراسة له اسخدم فيها كاميرات الفيديو في منازل بعض الأطفال الأمريكيين انهم يهتمون كثيرًا بالجلوس أمام جهاز التلفزيون صباح أيام السبت لمشاهدة الصور المتحركة أكثر من اهتمامهم بمشاهدة أي برنامج ما آخر ، كما ان مشاهدته التلميذ للبرامج التلفزيونية العامة أيام الدراسة قد تختلف عن مشاهدته لها وقت عطلة نهاية العام الدراسي .

"لماذا" أي لماذا تشاهد البرنامج التلفزيوني؟ أو ما هو الدافع إلى المشاهدة والفائدة المرجوة منها ؟ ، فالطلاب مثلا قد ينشطون معرفيا ويقبلون على مشاهدة برنامج تلفزيوني بشكل جزءا من مقرر دراسي سوف يمتحنون فيه في نهاية الفصل الدراسي أكثر من مشاهدتهم لبرنامج لمجرد التسلية والاسترخاء وشغل الوقت ، والشخص الذي يعاني من مشكلة ما صحية أو اجتماعية قد يهتم مثلا ببرنامج تلفزيوني يقدم اخصائيا يعالج هذه المشكلة أو شخصا آخر يعاني منها وهكذا ..

البيضة أم الفرخة ؟ ومشكلات اخرى منهجية :

حينما نتساءل عن تأثير التلفزيون علي سلوك الفرد أو نجمع اياه علمية عن هذا الموضوع فسرعان ما نقع في " مشكلة البيضة والفرخة" ، كيف مثلا يمكن

التأكد من أن اختلاف الأشخاص في بعد ما من أبعاد الشخصية كالسلوك العدواني أو الإبداع أو مهارات القراءة - هو الذي يؤدي أيضا إلى الاختلاف في البرامج التي يشاهدونها ؟ فربما يكون هذا الاختلاف في مشاهدته البرامج هو الذي أدى إلى اختلاف سلوكهم على هذه الأبعاد نتيجة عمليات تعلم بالقوة تمت بسبب هذه المشاهدة .

وعلى هذا يجب على المربين والعاملين في مجال الصحة النفسية والطلاب والآباء والباحثين وكل من يحاول أن يدرس تأثير التلفزيون أو وسائل الإعلام على الناس أن يضع هذا التساؤل جيدا في اعتباره ، وهو تساؤل لا ينبغي فقط أمامنا الطريق فيما يتعلق بطرائق البحث العلمي عن دراسة تأثير التلفزيون على الأفراد بل إنه يعطي أيضا خلفية مناسبة للقراء تمكنهم من تقييم نتائج البحوث التي يقرأونها سواء في هذا الكتاب أو أي كتاب ما آخر ؟ .

أن مشكلة " الفرخة والبيضة " توضح الصعوبة التي يمكن مواجهتها عند تفسير نتائج البحوث أو إجراء استدلالات سببية causal inferences عن هذه النتائج، وتظهر هذه الصعوبة بوضوح في البحوث الارتباطية ، فمثلا إذا ما قسنا أو قدرنا استخدامات الأطفال للتلفزيون أو إقبالهم على مشاهدته محتوى برنامج تلفزيوني معين (من البرامج المخصصة للأطفال دون الثانية عشرة ذات المحتوى الثقافي مثلا أو تلك الخاصة بالعنف) - ثم قسنا جوانب أخرى من سلوكهم (مثلا درجاتهم على اختبار في التحصيل الدراسي أو على اختبار للتفكير الإبداعي أو على مقياس للسلوك العدواني) - فلا يمكننا القول بأن أي من هذين السلوكين سبب للآخر، ولكننا إذا ما وجدنا أن الطلاب الذين يحصلون على درجات عالية على أحد المقياسين (بالمقارنة بزملائهم) يحصلون أيضا على درجات عالية على المقياس الآخر - وأولئك الذين يحصلون على درجات منخفضة على أحد المقياسين يحصلون أيضا على درجات منخفضة على المقياس الآخر - فإنه يمكننا القول في هذه الحالة بوجود ارتباط بين استخدامات الفرد للتلفزيون أو بين البرامج التي يشاهدها وسلوكه ، وذلك بشرط أن يوضح مستوى الدلالة الإحصائية وجود هذا الارتباط ومقدراه .

وعندما تتوافر لدينا الأسباب من قراءتنا مثلا لنتائج البحوث السابقة - إلى الاعتقاد بوجود علاقة بين متغيرين معينين ، فقد نضطر في دراساتنا إلى استخدام أساليب إحصائية معينة ترمي إلى تثبيت أو عزل أثر المتغيرات الدخيلة (كما هو معروف منهجيا) حتى لا تؤثر على هذين المتغيرين اللذين نريد دراستها .

فكثيرا ما يتساؤل الآباء مثلا أو المعلمون عما إذا كان مستوى القراءة أو أي جانب ما آخر من جوانب التحصيل الدراسي يرتبط بما يشاهده التلميذ من برامج تليفزيونية أو باستخداماته للتلفزيون ، ويقصد باستخداماته هذه أمور مثل : الفترة اليومية أو الأسبوعية التي يقضيها في مشاهدة التلفزيون ونوع البرامج التي يشاهدها وأفراد الأسرة الذين يشاهد معهم هذه البرامج، وهنا تشير نتائج كثير من البحوث إلى أن هناك ارتباط بالفعل بين استخدامات الطفل للتلفزيون ومستواه في القراءة والتحصيل الدراسي^(١)، ولكن قد تبين أيضا في هذه الدراسات أن هناك عوامل أخرى أو سلوكيات لها أيضا ارتباط بمستوى القراءة والتحصيل الدراسي وتعرف بالمتغيرات الدخيلة ، وهي مثلا مستوى ذكاء التلميذ أي مستوى ادائه على اختبارات الذكاء وأيضا كمية التدريب على القراءة وغير ذلك ، كما تبين من بعض الدراسات أن معاملات الارتباط الدالة إحصائيا بين استخدامات التلفزيون ومهارات القراءة تنخفض عندما يتم عزل درجات المتغيرات الأخرى الدخيلة أو التحكم فيها إحصائيا ، ولكن لا يصل هذا الانخفاض إلى حد عدم الدلالة الإحصائية .

(١) موضح في الفصل السادس نتائج البحوث المتعلقة بهذا الموضوع.